بسم الله الرؤوف الرحيم

نبتدئ بمعونة الله جل جلاله وتعالى مجده وكماله بنسخ كتاب تهذيب الأخلاق
تأليف الشيخ الفاضل أبي زكريا ابن عدي قدس الله تعالى روحه ونور ضريحه
وأفاض علينا من بركات علومه الباهرة آمين

قال اعلم أن الإنسان من بين سائر الحيوان ذو فكر وتمييز وهو أبدا يحب
من الأمور أفضلها ومن المراتب أشرفها ومن المقتنيات أنفسها إذا لم يعدل
عن التمييز في اختياره ولم يغلبه هواه في اتباع أغراضه وأولى ما اختاره الإنسان
لنفسه ولم يقف دون بلوغ غايته ولم يرض بالتقصير عن نهاية تمامه وكماله ومن
تمام الإنسان وكماله أن يكون مرتاضا بمكارم الأخلاق ومحاسنها ومتنزها
عن مساويها وقبائحها آخذا في جميع أحواله بقوانين الفضائل عادلا عن طرق الرذائل
وإذا كان ذلك كذلك كان واجبا على الإنسان أن يجعل قصده اكتساب كل شيمة
سليمة من المعايب ويصرف همته إلى اقتناء كل خيم كريم خالص من الشوائب
وأن يبذل جهده في اجتناب كل خصلة مكروهة ردية ويستفرغ وسعه في اطراح كل
خلة مذمومة دنية حتى يحوز الكمال بتهذيب أخلاقه ويكتسي الجمال بزينة
شمائله ويباهي بها أهل السؤدد والفخر ويلحق بالذروة من الدرجات الباهرة
والمجد إلا أن المبتدئ بطلب هذه الرتبة والراغب في هذه المنزلة ربما خفيت
عليه الخلال المستحسنة التي ينبغي تحريها ولم يتميز له من المستقبحة التي غرضه
توقيها من أجل ذلك وجب أن نقول في الأخلاق قولا نبين فيه ما الخلق وما علته وكم
أنواعه وأقسامه وما المرضي منها المغبوط صاحبه والمتخلق به وما المستنكر منها
الممقوت فاعله والمتوسم به ليسترشد بذلك من كانت له همة تسمو إلى مبادرة

أهل

اهل الفضل ونفس ابية تنبو عن مساواة اهل الدناءة والنقص ويدل ايضا على طرق الارتياض بما يجوز من انواعه والتدرب به وترك المذموم منها وتجنبه حتى يصير للمرتاض به ديدنا وعادة وسجية ولعلها ليهتدي به من نشأ على الاخلاق السيئة والفها وجرى على العادات الرديئة وانس بها

ونصف ايضا الاوصاف اقسام المهذب الاخلاق المحيط بجميع المناقب الخلقية وطريقته التي يصل بها الى التمام ويحفظ عليه الكمال ليشتاق المقصورة من يتشوق الى الرتبة العليا ويحن الى اقتفاء سيرته من استشرف للغاية القصوى وقد ينتبه ايضا بما نذكره من كانت له عيوب قد اشتبهت عليه وهو مع ذلك يظن انه في غاية الكمال فان في هذه حالة اذا تكرر عليه ذكر الاخلاق المكروهة يتحفظ عليه من ذلك وانف منه واجتهد في تركه والتنزه عنه وكذلك اذا تصفح الاخلاق المحمودة من كان جامعا لاكثرها عادما لبعضها قدم الى التخلق بذلك البعض الذي هو عادم له وتاقت نفسه الى الكمال جميعها وقد ينتفع بما نذكره ايضا من كان في غاية التمام والكمال فان المهذب الاخلاق الكامل الاوصاف الجامع للمحاسن اذا قرع سمعه ذكر الاخلاق الجميلة والمناقب النفيسة ورأى ان تلك هي عادته وسجاياه كانت له بذلك لذة عجيبة وفرحة مبهجة كما ان الممدوح ليسر اذا ذكر المادح محاسنه ونشر فضائله وايضا فانه اذا وجد اخلاقه مدونة في الكتب موصوفة بالحسن وكان ذلك داعيا الى الاستمرار على سيرته والاصرار على طريقته وهذه حين ابتدائنا بذكر الاخلاق فنقول ان الخلق هو حال للنفس بها يفعل الانسان افعاله بلا روية

والاعتياد والخلق قد يوجد في بعض الناس غريزة وطبعا وفي بعض
الناس لا يوجد الا بالرياضة والاجتهاد كالسخا قد يوجد في كثير من الناس
من غير رياضة ولا تعمل وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من
الاخلاق المحمودة وكثير من الناس من يوجد فيهم ذلك فمنهم من يصل اليه
بالرياضة ومنهم من يبقى على عادته ويجري على سيرته. فاما الاخلاق المذمومة
فانها في كثير من الناس كالبخل والجبن والظلم والشر. فان هذه العادات غالبة
على اكثر الناس مالكة لهم. بل قل ما يوجد في الناس من يخلو من خلق مكروه
ويسلم من جميع العيوب ولكنهم يتفاضلون في ذلك وكذلك في الاخلاق المحمودة
قد يختلفون ويتفاضلون الا ان المجبولين على الاخلاق الجميلة قليلون جدا و
المبغضين لها كثير. فاما المجبولين على الاخلاق السيئة فاكثر الناس فان الغالب
على طبيعة الانسان الشر وذلك ان الانسان اذا استرسل مع طبعه ولم يستعمل
الفكر ولا التمييز ولا الحيا ولا التحفظ كان الغالب عليه اخلاق البهايم لان
الانسان انما يتميز عن البهايم بالفكر والتمييز. فاذا لم يستعملها كان شبيها بالبهايم
في عاداتها والشهوات مستولية عليه والحيا غايب عنه والغضب يستفزه و
السكينة غير حاضرة له والحرص والاعتياد ديدنه والشره لا يفارقه فالناس
مطبوعون على الاخلاق الرديه منقادون للشهوات الدنيه وكذلك وقع الاضطرار
الى الشرايع والسنن والسياسات المحمودة وعظم الانتفاع بالملوك الحسنى السيرة
يردعوا الظالم عن ظلمه ويمنعوا الغاصب عن غصبه ويعاقب الفاجر على فجوره
ويقمعوا الجاير حتى يعود الى الاعتدال في جميع اموره فالاخلاق المكروهة في
طباع الناس الا ان فيهم من يتظاهر بها ويتمادى اليها وهم اشرار الناس ومنهم من
ينتبه بجودة الفكر وقوة التمييز على قبحها فيانف منها ويتصنع لاجتنابها

وذلك

والذين نخ

وذلك يكون عن طبع كريم، ونفس شريفه ومنهم من لا ينتبه لذلك الا انه
اذا نبه عليه احس بقبحه فربما حمل نفسه على تركه ومنهم اذا نبه لما فيه
من النقائص او نبه عليها ورام العدول عنها تعذر عليه ذلك ولم يطاوعه
طبعه وان كان موثرا للعدول عنها مجتهدا في ذلك وهذه الطايفه تحتاج ان
ترشد الى طريق التدرب والتنقل للعادات المحموده حتى تنقاد اليها على التدريج ومن
الناس من اذا تنبه على الاخلاق الرديه او نبه عليها فلم يمكن الى تجنبها ولا تسمح
نفسه لمفارقتها بل يوثر الاصرار عليها مع علمه برداءتها وقبحها وهذه الطايفه
ليس الى تهذيبها طريق الا بالقهر والتخويف والعقوبه ان لم يردعها التخويف
والترهيب فاما الاخلاق المحموده فانها وان كانت في بعض الناس غريزيه فليست
في جميعهم وان الباقين قد يمكن ان يصيروا اليها بالتدرب والرياضه ويتدرجوا
اليها بالاعتياد والالف ومع هذا الحال فقد يكون في الناس من لا يقبل طبعه العادات الحسنه
ولا الخلق الجميل وذلك يكون لرداءة جوهره وخبث عنصره وهذه الطايفه من جملة الاشرار
الذين لا يرجى صلاحهم وكثير من الناس من يقبل كثيرا من الاخلاق المحموده وينبو طبعه عن بعضها
وليس يعد هذا شريرا لكن رتبته في الخير بحسب محاسنه فاما العله الموجبة لاختلاف الاخلاق
فهي النفس وللنفس ثلث قوى وهي تسمى ايضا نفوسا وهي النفس الشهوانيه والنفس الغضبيه
والنفس الناطقه وجميع الاخلاق تصدر عن هذه القوى فمنها ما يختص بواحده ومنها ما يشترك فيها قوتان
ومنها ما يشترك فيها القوى الثلث ومن هذه القوى ما يكون للانسان وغيره من الحيوان ومنها ما يختص
به الانسان فقط اما النفس الشهوانية فهي للانسان ولساير الحيوان وهي التي تكون بها جميع اللذات
والشهوات الجسمانية كالقدوم الى الماكل والمشارب والمباضعه وهذه النفس قويه جدا متى لم تقهرها
صاحبها وتودبها ملكته واستولت عليه فاذا استولت عليه عسر تهذيبها وصعب قهرها وتذليلها
فاذا تمكنت هذه النفس من الانسان وملكته وانقاد لها كان بالبهايم اشبه منه بالناس لان اغراضه
ومطلوباته تصير ابدا مصروفه الى الشهوات واللذات فقط وهذه هي عادات البهايم بسرى

بحب بهذه الصفة يقل حياؤه ويكثر خرقه ويستوحش من اهل الفضل ويميل الى
اللذات و ينقبض عن المجالس الحفلة ويبغض اهل العلم ويشنأ اهل الورع و
النسك ويود اصحاب الفجور ويستحب الفواحش ويكثر ذكرها ويلتذ باستماعها
ويسره معاشرة السخفا ويغلب عليه الهزل وكثرة اللهو وقد يصير من هذه
حاله الى الفجور وارتكاب الفواحش والتعرض للمحظورات وربما دعته محبة اللذات
الى اكتساب الاموال من اقبح وجوهها وربما حملته نفسه على الغصب والتلصص
والخيانة واخذ ما ليس له بحق فان اللذات لا تتم الا بالاموال والاعراض فمحب
اللذة اذا تعذرت عليه الاموال من وجوهها حملته شهوته على اكتسابها من
غير وجوهها ومن تنتهي به شهواته الى هذه الحدود فهو اسوء الناس حالا وهو من
الاشرار الذي يخاف خبثهم ويستوحش منهم ويستروح الى البعد عنهم ويصير واجبا
على متولي السياسات تقويمهم وتأديبهم وابعادهم ونفيهم حتى لا يختلطون بالناس
بان في اختلاط من هذه صفته بالناس مضرة لهم وخاصة للاحداث فان
الحدث سريع الانفعال ونفسه مجبولة على الميل الى الشهوات فاذا ما شاهد غيره
مرتكبا لها مستحسنا للانهماك فيها مال هو ايضا الى الاقتداء به والى مساعدة لذته
واما من ملك نفسه الشهوانية وقهرها كان ضابطا لنفسه عفيفا في شهواته متجنبا من
الفواحش متوقيا من المحظورات محمود الطريقة في جميع ما يتعلق باللذات فالعلة
الموجبة لاختلاف عادات الناس في شهواتهم ولذاتهم وعفة بعضهم وفجور بعضهم
هو اختلاف احوال النفس الشهوانية فانها اذا كانت مهذبة مؤدبة كان صاحبها
عفيفا ضابطا لنفسه واذا كانت مهملة مرسلة مالكة لصاحبها كان صاحبها فاجرا شريرا
واذا كانت متوسطة الحال كان رتبة صاحبها في العفة كرتبتها في التأدب فمن اجل ذلك
وجب ان يؤدب الانسان نفسه الشهوانية ويهذبها حتى تصير منقادة له ويكون

هذه مالكها فيستعبدها ويجعله تبعا لا حاجة به اليه من الشهوات الرديه واللذات الفاحشه
فاما النفس الغضبيه فيشترك فيها الانسان ايضا وساير الحيوان وهي التي تكون
بها الغضب والجراه والجراة ومحبة الغلبه وهذه النفس اقوى من النفس الشهوانيه
واضر بصاحبها اذا ملكته وانقاد لها فان الانسان اذا انقاد للنفس الغضبيه كثر
غضبه وظهر حرقه واشتد حقده وعدم حلمه ووقاره وقوية جراته ويسرع عند
الغضب الى الانتقام والايقاع بمغضبه والوثوب بخصمه فاسرف في العقوبه وزاد
في التشفي واكثر السب والفحش فيه فاذا استمرت هذه العادات بالانسان كان
بالسباع اشبه منه بالناس وربما حمل قوما على حمل السلاح على اعدائهم واوليائهم وعبيدهم
وخدمهم عند الغضب من اليسير من الامور وربما اقدموا على القتل والجراح وربما
غضب من هذه حاله ولم يقدر على الانتقام من خصمه فيعود بالضرر والسب واللوم
على نفسه فمنهم من يلطم وجهه وينتف لحيته ويعض يده ويثب نفسه ويذكر
عرضه ايضا وايضا فمن تحكم النفس الغضبيه تكون محبا للغلبه متوثبا على من
ازاه متعديا على من ناواه طالبا للترأس من غير وجهه فاذا لم يتمكن من الرياسه
من وجهها تمكن اليها بالحيل الخبيثه فاستعمل كل ما يمكنه من الشر وهذه الافعال تورط
صاحبها وتوقعه في المهاوي والمهالك فان من وثب على الناس وثبوا عليه ومن
خاصمهم خاصموه ومن اقدم عليهم اقدموا عليه ومن تشرر عليهم قصدوه بالشر وربما سفه
الانسان على خصمه وكان الخصم اسفه منه فان من ناوله سوءا قابله بذلك
باكثر منه وقد يغلب على هذه حاله الحسد والحقد والقحه واللجاج والجحود وقد حمل
هواوي محبة الغلبه وطلب الرياسه على اكتساب الاموال من غير وجهها واخذها بالغصب
والغلبه والظلم وربما قتلوا على محبة الغلبه من يناويهم وربما فعلوا ذلك من
غير رويه فيؤول الامر بهم الى البوار والاستيصال فاما من ساس نفسه

الغضبيه واذيها وقمعها كان حليما وقورا عادلا محمود الطريقه · فالعلة الموجبه
لاختلاف عادات الناس في غضبهم وحردهم وحلم بعضهم وسفاهة بعض هو
اختلاف احوال النفس الغضبيه اذا كانت هذه النفس مقهوره كان صاحبها
حليما وقورا واذا كانت مهمله مستوليه على صاحبها كان صاحبها غضوبا سفيها طايشا
غشوما واذا كانت متوسطة الحال كان صاحبها متوسط الحال رتبته في الحلم
كرتبة نفسه الغضبيه في التاديب فمن اجل ذلك وجب ان يروض الانسان
نفسه الغضبيه حتى تنقاد له فيملكها ويستعملها في المواضع التي يجب استعمالها
فيها فان لهذه النفس ايضا فضايل محموده وذلك ان الانفه من الامور
الدنيه ومحبة الرياسة الحقيقيه وطلب المراتب العاليه من الاخلاق المحموده وهي
من افعال النفس الغضبيه فاذا ملك الانسان هذه النفس بالتاديب والتهذيب
واستعملها في الامور الجميله وكفها عن الافعال المكروهه كان حسن الحال محمود الطريقه واما
النفس الناطقه وهي التي بها يتميز الانسان من جميع الحيوان وهي التي بها يكون الفكر والذكر
والتمييز والفهم وهي التي بها شرف الانسان وعظمت همته فاعجب بنفسه وهي التي بها يستحسن
المحاسن ويستقبح القبايح وبها يمكن الانسان ان يهذب قوتيه الباقيتين وهي
الشهوانيه والغضبيه ويضبطهما ويكفهما وبها يفكر في عواقب الامور فيبادر
باستدراكها من اوايلها ولهذه النفس ايضا فضايل ورذايل اما فضايلها فاكتساب
العلوم والاداب وكف صاحبها عن الرذايل والفواحش وقهر النفسين الاخريين وتاديبهما
وسياسة صاحبها في معاشه ومكسبه ومروته وتجمله وحث صاحبها على فعل
الخير والتودد والرفق وسلامة النيه والحلم والحيا والنسك والعفه وطلب الرياسه
من الوجوه الجميله واما رذايلها فالخبث والحيله والخديعه والملق والمكر والحسد
والشر والريا وهذه النفس هي لجميع الناس الا ان منهم من تغلب عليه فضايلها
فيستحي

فيستحسنها ويستعملها ومنهم من يغلب عليه رذائلها فيألفها ويستمرئها ومنهم من يجتمع فيه بعض الفضائل وبعض الرذائل وهذه العادات قد تكون في كثير من الناس سجية وطبعا لا يتكلف فأما المطبوع على العادات الجميلة فإنما تكون لقوة نفسه الناطقة وشرف عنصره وأما المطبوع على العادات المكروهة فلضعف نفسه الناطقة وسوء جوهره وأما الذي يجتمع فيه فضائل ورذائل فهو الذي تكون نفسه الناطقة متوسطة الحال وقد يكتسب أكثر الناس هذه العادات وجميع الأخلاق جميلها وقبيحها اكتسابا وذلك يكون بحسب منشأ الإنسان وأخلاق من يختلط به ويشاهده ويقرب منه ويحب رؤساء وقته ومن يشار إليه بالنباهة ويغبط على رتبته فإن الحدث والناشئ يكتسب الأخلاق ممن يكثر مناسبته ومخالطته ومن أبويه ومن أهله وعشيرته فإذا كان هؤلاء سيئي الأخلاق مذمومي الطريقة كان الحدث والناشئ بينهم سيئ الأخلاق مكروه العادات وإذا لحظ الحدث أيضا أهل الرياسة ومن فوقه وغبطهم على مراتبهم آثر التشبه بهم والتخلق بأخلاقهم فإن كانوا مهذبي الأخلاق حسني السيرة كان المتشبه بهم حسن الأخلاق مرضي الطريقة وإن كانوا أشرارا جهالا خرج الغابط السالك طريقتهم شريرا جاهلا وهذه الحال هي أخلاق أكثر الناس فإن الجهل والشر والخبث والشره والحسد غالبة عليهم والناس بالطبع يقتدي بعضهم ببعض ويحتذي التابع أبدا سيرة المتبوع وإذا كان الغالب الشر والجهل كان واجبا أن يقتدي أولادهم وخدمهم وأتباعهم بهم

في العلة الموجبة لاختلاف أخلاق الناس

في سياستهم وفضائلهم وغلبة الشر والخبث عليهم فهو اختلاف قوة النفس الناطقة فيهم إذا كانت خيرة فاضلة قاهرة للنفسين الباقيتين كان صاحبها خير العادات حسن

اليسيره واذا كانت شريره خبيثه مهمله للنفسين الباقيتين كان صاحبها شريرا خبيثا جاهلا
فمن اجل ذلك وجب ان يعمل الانسان فكره ويميز اخلاقه ويختار منها ما كان
مستحسنا جميلا وينفي منها ما كان مستنكرا قبيحا ويحمل نفسه على التشبه بالاخيار ويتجنب
كل التجنب عادات الاشرار فانه اذا فعل ذلك صار بالانسانيه متحققا وبالرياسه الذاتيه
مستحقا فاما انواع الاخلاق واقسامها

وما المستحسن منها وما المستحب اعتياده ويعد فضايل وما المستقبح منها المكروه ويعد
نقايص ومعايب فهي الانواع التي نحن واصفوها اما التي تعد فضايل فمنها العفه
وهي ضبط النفس عن الشهوات وقسرها على الاكتفا بما يقيم اود الجسم ويحفظ صحته فقط واجتناب السرف
والتقصير في جميع اللذات وقصد الاعتدال وان يكون ما يقتصر عليه من الشهوات على
الوجه المستحب المتفق على ارتضايه وفي اوقات الحاجه التي لا غنا عنها وعلى القدر الذي
لا يحتاج الى اكثر منه ولا يخرج النفس والقوه اقل منه وهذه الحال هي غاية العفه ومنها القناعه
وهي الاقتصار على ما سنح من العيش والرضى بما تسهل من المعاش وترك الحرص على اكتساب
الاموال وطلب المراتب العاليه مع الرغبه في جميع ذلك وايثاره والميل اليه وقهر النفس
على ذلك والتقنع باليسير منه وهذه الخلق مستحسن من اوساط الناس واصاغرهم
فاما الملوك والعظما فليس ذلك مستحسنا منهم ولا تعد القناعه من فضايلهم ومنها التصون
وهو التحفظ من التبذل فمن التصون التحفظ من الهزل القبيح ومخالطة اهله
وحضور مجالسه وضبط اللسان عن الفحش وذكر الخنا والمزاح السخيف وخاصه
في المحافل ومجالس المحتشمين ولا سيما من يسرف في المزح والفحش فيه ومن التصون
ايضا الانقباض عن اراذل الناس واصاغرهم ومصادقتهم ومجالستهم والتحرز من المعايش
الزريه واكتساب الاموال من الوجوه الخسيسه والترفع عن مسالة الحاجات لليام
الناس وسفلتهم والتواضع لمن لا قدر له والاقلال من البروز من غير حاجه
والتبذل

والتبذل بالجلوس في الاسواق وتوزيع الطرف من غير اضطرار فان الاكثار من ذلك لا يخلو من العيب واعظم قدرا من ظهر اسمه وخفي شخصه ومنها الحلم وهو ترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة على ذلك وهذه الحال محمودة مالم تؤد الى ثلم جاه او فساد سياسة وهي بالملوك والرؤساء احسن لانهم اقدر على الانتقام من مبغضيهم ولا يعد فضيلة حلم الصغير عن الكبير وان كان قادرا على مقابلته في الحال فانه وان امسك فانما يعد ذلك ضعفا لا حلما ومنها الوقار وهو الامساك عن فضول الكلام والعبث وكثرة الاشارة والحركة فيما يستغنى عن التحرك فيه وقلة الغضب والاصغاء عند الاستفهام والتوقف عن الجواب والتحفظ عند التسرع والمبادرة في جميع الامور ومن قبل الوقار ايضا الحياء وهو غض الطرف والانقباض من الكلام حشمة للمستحيا منه وهذه العادة محمودة مالم تكن عن عيّ ولا عجز ومنها الود وهو المحبة المعتدلة من غير اتباع الشهوة والود مستحسن من الانسان اذا كان ودّه لاهل الفضل والنبل وذوي الوقار والوجاهة والمتميزين من الناس فاما التودد الى ارذل الناس واصاغرهم والاحداث والنساء واهل الخلاعة ومن شابههم فمكروه جدا واحسن الود ما نتجه بين متوالفين متناسبة الفضائل فاما ما كان ابتداؤه اجتماعا على هزل او طلب لذة او ما شابه ذلك فليس محمودا وليس بباق ولا ثابت ومنها الرحمة وهذه خلق مركب من الود والجزع والرحمة لا تكون الا لمن يظهر منه للراحم خلة مكروهة اما نقيصة في نفسه واما محنة عارضة فالرحمة هي محبة للمرحوم مع جزع من الحالة التي لاجلها رُحم وهذه الحالة مستحسنة مالم تخرج بصاحبها عن العدل ولم تنته به الى الجور والى فساد السياسة وليس بمحمود رحمة القاتل عند القود والجاني عند القصاص ومنها الوفاء وهو الصبر على ما يبذله الانسان من نفسه ويرهن به لسانه والخروج مما يضمنه

وان كان مجحفا فليس يعد وفيا من لم يحفظه بوفايه اذيه وان قصد وكيلا امر الغير
فقد ما يحكم به الدخول على نفسه كان ابلغ في الوفا وهذا الخلق محمود يستنفع به
جميع الناس فان من عرف بالوفا كان مقبول القول في جميع ما يخبر به ومن كان
مقبولا كان عظيم الجاه الا ان اصحاب الملوك بهذا الخلق انفع وما بهم اليه
اشد فانه متى عرف منهم قلة الوفا لم يوثق بمواعيدهم ولم تتم اغراضهم ولم تسكن اليهم
جندهم واعوانهم ومنها الامانة وهو التعفف عما يتصرف الانسان فيه من مال وغيره
وما يوثق به عليه من الاعراض والحرم مع القدره عليه ورد ما يستودع الى مودعه
ومنها كتمان السر وهذا الخلق مركب من الوفا والامانه فان اخراج السر
من فضول الكلام وليس بموثوق من تكلم بالفضول وايضا فكما ان من استودع
مالا فاخرجه الى غير مودعه فقد خفر الامانه وكذلك من استودع سرا فاخرجه
الى غير صاحبه فقد خفر الامانه وكتمان السر محمود من جميع الناس وخاصه من يصحب
السلطان فان اخراجه سره مع انه قبيح في نفسه يؤدي الى ضرر عظيم يدخل عليه
من سلطانه ومنها التواضع وهو ترك الترأس واظهار الخمول وكراهية التعظيم والزياده
في الاكرام وان يتجنب الانسان المباهاه بما فيه من الفضايل والمفاخره بالمال والجاه
وان يتحرز من الاعجاب والكبر وليس يحسن التواضع الا في اكابر الناس ورؤسائهم
واهل الفضل والعلم فاما سوى هولاء فليس يكونوا متواضعين لان الضعه هي
محلهم ورتبتهم وهم غير متنقصين لها ومنها البشر وهو اظهار السرور بمن يلقاه الانسان
من اخوانه واودائه واصحابه واوليائه ومعارفه والتبسم عند اللقا وهذا الخلق
مستحسن من جميع الناس وهو من الملوك والعظما احسن فان البشر من الملوك
تتالف به قلوب الرعيه والاعوان والحاشيه ويزداد به تحببا اليهم وليس بسعيد
من الملوك من كان مبغضا الى رعيته وربما ادى ذلك الى فساد امره وزوال
ملكه

ملكه ومنها صدق اللهجة وهو الاخبار عن الشيء على ما هو به وهو الخلق المستحسن
ما لم يؤد الى ضرر مجحف فانه ليس يستحسن صدق الانسان اذا سئل عن فاحشة
كان ارتكبها فانه لا يفي حسن صدقه بالقبح في ذلك من العار والمنقصة الباقية
اللازمة وكذلك ليس يحسن صدقه اذا سئل عن مستجير استجاره فاخفاه ولا ان
سئل عن جناية من صدق عنها عوقب عليها عقوبة مؤلمة والصدق مستحسن
من جميع الناس وهو من الملوك والعظماء احسن فلا يسعهم الكذب ما لم يؤد الصدق
عليهم بضرر ومنها سلامة النية وهو اعتقاد الخير لجميع الناس وتنكب الخبث والحيلة والمكر
والخديعة وهذا الخلق محمود من جميع الناس الا انه ليس يصلح للملوك التخلق به دايما
ولا يتم الملك الا باستعمال المكر والحيل والاغتيال مع الاعداء ولكن لا يحسن بهم استعماله
مع اوليائهم واصحابهم واهل طاعتهم ومنها السخاء وهو بذل المال من غير مسالة ولا استحقاق
وهذا الخلق مستحسن ما لم ينته الى السرف والتبذير فان من بذل جميع ما يملكه لمن
لا يستحقه لم يسم سخيا بل يسمى مبذرا مضيعا والسخاء في ساير الناس فضيلة مستحسنة
فاما في الملوك امر واجب لان البخل يورث الضرر عظيم في ملكهم والسخا والبذل
يرتهن به قلوب الرعية والجند والاعوان فيعظم الانتفاع به ومنها الشجاعة وهو الاقدام
على المكاره والمهالك عند الحاجة الى ذلك وثبات الجاش عند المخاوف والاستهانة
بالموت وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس وهو بالملوك واعوانهم اليق واحسن
بل ليس يستحق الملك من عدم هذه الخلة فاكثر الناس اخطارا واحوجهم الى اقتحام
الغمرات هم الملوك فالشجاعة من اخص الخاصة بهم ومنها المنافسة وهي منازعة
النفس الى التشبه بالغير ومجاراته وهو يرغب فيه لنفسه والاجتهاد في الترقي الى درجة
اعلى من درجته وهذا الخلق محمود اذا كانت المنافسة في الفضائل والمراتب العالية

ومايكسب مجداً وسؤدداً فأما في غير ذلك من اتباع الشهوات والمباهاة باللذات
الرديه والترهات فمكروه جداً ومنها الصبر عند الشدايد وهذا الخلق مركب من
الوقار والشجاعه وهو مستحسن جداً ما لم يكن الجزع نافعاً ولا الحزن والقلق مجدياً ولا الحيله
ولا الاجتهاد والانفه ضرورة تلك الشدايد فما احسن الصبر اذا عدمت الحيله وما اقبح
الجزع اذا لم يكن مفيداً ومنها عظم الهمة وهو استصغار مادون النهايه من معالي
الامور وطلب المراتب الساميه واستحقار ما يجود به الانسان عند العطيه والاستخفاف
باوساط الامور وطلب الغايات والتهاون بما يملكه ويبذل ما يملكه لمن يساله من غير
امتنان ولا اعتداد به وهذا الخلق من اخلاق الملوك خاصّه وقد يحسن بالرؤسا
والعظماء ومن تسمو نفسه الى مراتبهم ومن عظم الهمة الانفة والحمية والغيره
والانفه هو نبو النفس عن الامور الدنيه والحمية والغيره جميعا هو الغضب
عند الحماى بالنفس وانما يلحق الانسان الغيره على الحرم لدى التعرض لهن
عاراً ومنقصه فان المتعرض للحرم مستخف لصاحبهن ومتعرض في غير حق له و
الاهتضام ودخول النقص وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس ومنها العدل
وهو التقسط اللازم للاستوا وهو استعمال الامور في مواضعها واوقاتها ووجوهها
ومقاديرها من غير سرف ولا تقصير ولا تقديم ولا تاخير فاما الاخلاق الرديه التي تعد
نقايص ومعايب فان منها الفجور وهو الانهماك في الشهوات والاستكثار منها
والتوفر على اللذات والادمان عليها وارتكاب الفواحش والمجاهره بها وبالجملة السرف
في جميع الشهوات وهذا الخلق مكروه جداً يهدم الحيا ويذهب بالوجه ويخرق
جلباب الحشمه ومنها الشره وهو الحرص على اكتساب الاموال وجمعها وطلبها من كل وجه
وان قبح التعسف في اكتسابها والمكالبه عليها والاستكثار من القنيه وادخار ما
الاعراض

الاعراض وهذا الخلق مكروه من جميع الناس الا من الملوك فان كثرة المال
والذخاير والاعراض تقبح الا في الملك وتزين الملوك وتزيدهم هيبة في نفوس حشمهم
واعوانهم واعاديهم واضدادهم ومنها التبذل وهو المزاح المفرط وترك التحفظ والاكثار
من الهزل واللهو ومخالطة السفها وحضور مجالس السخف والهزل والفواحش والتفوه
بالخنا وذكر الاعراض والمزح والجلوس في الاسواق وعلى قوارع الطرق والتكسب
بالمعايش الزريه والتواضع للسفلة وهذا الخلق قبيح بجميع الناس ومنها السفه
وهو ضد الحلم وهو سرعة الغضب والطيش من يسير الامور والمبادرة الى البطش
والايقاع بالمؤذي والسرف في العقوبه واظهار الجزع من ادنى ضرر والسب الفاحش
وهذا الخلق مستقبح من كل احد الا انه من الملوك والروسا اقبح ومنها الخرق
وهو كثرة الكلام والتحرك من غير حاجه وشدة الضحك والمبادره الى الامور من
غير توقف وسرعة الجواب وهذا الخلق مستقبح من كل احد وهو باهل العلم وذوي
النباهه اقبح ومن قبيل الخرق القحة وهو قلة الاحتشام لمن يجب احتشامه والمجاهره
بالجوابات القبيحه المستشنعه وهذا الخلق مكروه وخاصه بذوي الوقار ومنها العشق
وهو افراط الحب والسرف فيه وهذا الخلق مكروه على جميع الاحوال ومستقبح الا ان اقبحه
واشره ما كان معروفا الى طلب اللذه واتباع الشهوه الرديه وقد يحمل هذا الخلق
صاحبه على الفجور وارتكاب الفواحش وكثرة التبذل وقلة الحيا ويكسبه عادات
رديه وهو بكل احد قبيح الا انه بالاحداث والمترفين والمتنعمين اقل قبحا ومنها
القساوة وهذا خلق مركب من البغض والشجاعه والقساوه هو التهاون بما يلحق
الغير من الالم والاذى وهذا الخلق مكروه من كل احد الا من الجند واصحاب السلاح
والمتوليين الحروب فان ذلك غير مكروه منهم اذا كان في موضعه ومنها الغدر

وهو الجمع عما يعد له الانسان من نفسه ويطن الوعاد به وهذا الخلق مستقبح وان
كان لصاحبه فيه مصلحه ومنفعه وهو بالملوك والروسا اقبح واكثر فان من عرف
منهم بالغدر لم يسكن اليه احد ولم يثق به واذا لم يسكن اليه فسد نظام ملكه ومنها
الخيانه وهي الاستبداد بما يوتمن الانسان عليه من الاموال والاعراض والحرم وتملك
ما يستودع ومجاحده مودعه ومن الخيانه ايضا طي الاخبار اذا ندب لتاديتها وتحريف
الرسايل اذا تحملها وصرفها عن وجوهها وهذا الخلق اعني الخيانه مكروه من جميع الناس
ويثلم الجاه ويقطع وجوه المعايش ومنها افشا السر وهذا الخلق مركب من الخرق والخيانه
فانه ليس بوقور من لم يضبط لسانه ولم يتسع صدره لحفظ ما يستسر به والسراير الودايع
وافشاوه نقيصه على صاحبه فالمفشي بالسر خاين وهذا الخلق قبيح جدا وخاصه من
يصحب السلاطين وبطانتهم ومن قبيل افشا السر الغيبه والنميمه وهو ان يبلغ انسان
انسانا عن غيره قولا مكروها وهذه الخلق قبيحا جدا واذا لم يستتر ايضا بما يسمعه
او يبلغه فيقوله لمن يكرهه قبيح لان في ذلك ايقاع وحشة بين المبلغ والمبلغ عنه
وذلك غاية الشر ومنها الكبر وهو استعظام الانسان نفسه واستحسان ما فيه من الفضايل
والاستهانه بالناس واستصغارهم والترفع على من يجب التواضع له وهذا الخلق مكروه
ضار لصاحبه لان من اعجبته نفسه لم يستزد من اكتساب الادب ومن لم يستزد بقي
على نقصه فان الانسان لم يخلو من النقص وقل ما ينتهي الى غاية الكمال وايضا فان
هذا الفعل يبغضه الناس ومن يبغضه الناس ساءت احواله ومنها العبوس
وهو التقطيب عند اللقا واظهار الكراهيه وهذا الخلق مركب من الكبر وغلظ الطبع
فان قلة البشاشه هي استهانه بالناس والاستهانه بالناس يكون من الاعجاب
والكبر وقلة التبسم ايضا وخاصه عند لقاء الاخوان يكون من غلظ الطبع وهذا
الخلق مستقبح وخاصه بالروسا والافاضل ومنها الكذب وهو الاخبار عن الشي بخلاف
ما هو به وهذا الخلق مكروه ما لم يكن لدفع مضره لا يمكن دفعها الا به او اجتلاب نفع
لا غنا عنه

لاغنا لا عنه لا يوصل اليه الا به فاما الكذب اذا كان عبثا ولنفع يسير لا اضطرارا له
ولا يفي بقباحة الكذب والكذب يقبح بالملوك والروسا اكثر لان اليسير من
النقص يشينهم ومنها الخبث وهو اضمار الشر للغير واظهار الخير له واستعمال الغيلة
والمكر والخديعة في المعاملات وهذا الخلق مكروه من جميع الناس الا من الملوك
والروسا فانهم اليه يضطرون واستعمالهم اياه مع اضدادهم واعاديهم غير مستقبح فاما مع
اوليائهم واصحابهم فانه غير مستحسن ومن قبيل الخبث الحقد وهو اضمار الشر للجاني اذا لم يتمكن
من الانتقام منه فاخفى ذلك الاعتقاد الى وقت الفرصة وهذا الخلق من اخلاق
الاشرار وهو مذموم جدا ومنها البخل وهو منع المسترفد مع القدرة على رفده وهذا الخلق مكروه
من جميع الناس الا انه من النسا اقل كراهية بل قد يستحب من النسا البخل فاما سائر
الناس ٧ فان البخل يبغض منهم اكثر مما يبغض من الرعية والعوام ويقدح في مكسبهم لانه
يقطع الاطماع منهم ويبغضهم الى رعيتهم ومنها الجبن وهو الجزع عند المخاوف والاحجام عما تحمد
عاقبته ولا يؤمن معتبه وهذا الخلق مكروه بجميع الناس الا انه للملوك والجند واصحاب
الحرب اضر ومنها الحسد وهو التالم بما يراه الانسان لغيره من الخير وما يجده فيه من الفضائل
والاجتهاد في اعدام ذلك الغير ما هو له وهذا الخلق مكروه وقبيح بكل احد ومنها الجزع
عند الشدة وهذا الخلق مركب من الخرق والجبن وهو مستقبح اذا لم يكن
مجديا ولا مفيدا فاما اظهار الجزع لتحمل حيلة بتلك عند الوقوع في الشدة او استغاثة
مغيث او اضطراب مضعف فيما يعني فيه المعاونة فغير مكروه ولا يعد نقيصة ومنها
صغر الهمة وهو ضعف النفس عن طلب المراتب العالية وقصور الامل عن بلوغ الغايات
واستكثار اليسير من الفضائل واستعظام القليل من العطايا والاعتداد به والرضى
بأواسط الامور واصاغرها وهذا الخلق قبيح بكل احد وهو بالملوك اقبح بل ليس يستحق
للملك من صغرت همته ومنها الجور وهو الخروج من الاعتدال في جميع الامور والسرف

٧ [illegible]

+ عند ذوي ... لا ... [illegible]

والتقصير واخذ الاموال من غير وجوهها والمطالبة بالواجب من الحقوق الواجبة وفعل
الاشيا في غير مواضعها ولا اوقاتها ولا على القدر الذي يجب ولا على الوجه المستحب

ومن الاخلاق ما هو في بعض الناس فضيلة وفي بعضهم رذيلة

فمنها حب الكرامة وهو ان يسر الانسان بالتعظيم والتبجيل والمقال المليح والثنا الجميل وهذا الخلق محمود في الاحداث والصبيان لان محبة الكرامة تحثهم على اكتساب الفضايل وذلك ان الحدث والصبي اذا مدح على فضيلة ترى فيه كان ذلك داعيا الى الازدياد من الفضايل فاما الافاضل من الناس فيعد ذلك منهم نقيصة لان الانسان انما يمدح على الفضيلة اذا كانت مستغربة منه واذا كان من اهل الفضيلة فليس ينبغي ان يسر بان يستغرب ما يظهر منه من الفضايل وكذلك الاكرام والتبجيل اذا كان زايدا على استحقاقه فانه يجري مجرى الملق والسرور بالملق غير محمود لانه من جنس الخديعة ومنها حب الزينة وهو التصنع بحب النزه والمركوب والالات وكثرة الخدم والحشم وهذا مستحسن من الملوك والعظما والاحداث والظرفا والمتنعمين والنسا فاما الرهبان والزهاد والشيوخ واهل العلم وخاصة الحكما والاعلون وروسا الدين فان التصنع والزينة مستقبح منهم والمستحسن منهم لبس الشعر والخشن وكراهية التنعم ولزوم بيت العلم ومنها المجازاة على المديح وهو مجازاة من يمدح الانسان ويشكره في المجالس والمحافل وهذا الخلق مستحسن من الملوك والروسا لان ذلك يدعو المادح الانسان الى مدحه ويكسب الممدوح ذكرا جميلا يبقى الى الدهر ومن فضايل الملوك والروسا بقا ذكرهم الجميل فاما محبتهم سماع المدح من المادح مواجهة فذلك غير مستحب لانه من جنس الملق وحب الملق مكروه لانه من قبيل الخديعة فاما ابتدادهم فهو انشاد ذكرهم ومدحهم وتناول اماك له وتقباه بعدهم فان ذلك محمود منهم ومجازاة المادح مستحسن من الملوك ومنهم مستقبح وعاد

وخاصة لمن ذلك بعد المذهب وزهد بين في الظاهر فيستحق ذكرا قبيحا وذلك
مكروه من الملوك والرؤسا فاما اصاغر الناس فحبهم جزيل المادح لهم غير مستحسن
لأن المادح اذا مدح الدني من الناس فانما يخدعه فاذا اجازه اعتقد انه استسخر
منه بتلك الجايزة وكثير من الناس اذا مدحوا بالباطل فيهم فيبادرون الى المجازاة
المادح فيكونوا قد وضعوا الشي في غير موضعه وهم اذا صرفوا ذلك الشي
الى الضعفا واهل المسكنه كان ذلك اجل بهم واليق ومنها الزهد وهو قلة
الرغبة في الاموال والاعراض والادخار والقنية وايثار القناعة بايسير الرزق
والاستخفاف بالدنيا ومحاسنها ولذاتها وقلة الاكتراث بالمراتب العالية واستصغار
الملوك ومالكيهم وارباب الاموال واهلها وهذا الخلق مستحسن جدا ولكن
من العلما ورؤسا الدين والخطبا والاعلام ومن رغب اما في المعاد والبقا
بعد الموت فاما الملوك والعظما فان ذلك غير مستحسن منهم ولا لايق بهم
لان الملك اذا اظهر الزهد فقد صار ناقصا لان ملكه لا يتم الا باقتنا
الاموال والاعراض وادخارها ليذب بها عن ملكه ويصون بها حوزته ويحفظ
بها رعيته وذلك مضاد للزهد فان ترك الادخار ابطل ملكه وصار
معدودا في جملة النقص من الملوك الحايدين عن طريق السياسة فهذه
الاقسام التي ذكرناها هي اخلاق جميع الناس اما الممدوحة منها المعدودة
فضايل فقل ما تجتمع كلها في انسان واحد واما المذموم منها المعدود نقايص
ومعايب فقل ما يوجد انسان يخلو من جميعها حتى لا يكون فيه خلق مكروه
وخاصة من لم يروض نفسه ويؤدبها فان من لم يتيقظ لنفسه ويتفقد
عيوبه لم يخل من عيوب كثيرة وان لم يحس بها ولم يفطن بها

وان كانت الامر على ما ذكرناه كان اولى الامور بالانسان ان يتفقد اخلاقه ويتأمل عيوبه ويجتهد في اصلاحها ونفيها عن نفسه ويتبع الاخلاق المحموده ويحمل نفسه على اكتسابها والتخلق بها فان الناس انما يتفاضلون على الحقيقة بفضائلهم لا كما يعتقد الجهال والعامه انهم يتفاضلون باموالهم واملاكهم وكثرة الذخائر والاثاث فان اكثر الناس انما يتفاخرون بالاموال والرفاهة والاولاد ويعظمون ابدا الاغنياء وذوي الاموال ولا يتهيب بعضهم على البعض الا بكثرة الاموال او بالجاه المكتسب بالمال وليس كثرة المال ما يتفاضل به الناس بل كثرة المال انما يتفاضل بها احوال الناس واما نفوسهم فليس تكون افضل من نفوس غيرهم بكثرة المال وذلك ان الفاجر السفيه الجاهل الشرير وان عظمت امواله وعلت قيمه فليس تكون افضل من العفيف الحكيم الخير العالم اذا كان فقيرا بل انما تكون بكثرة الاموال اغنى منه واما افضل فليس تكون ابدا افضل من صاحب الاكثرة الفضائل فقط فان اجتمع للانسان مع الاخلاق الجميله والعادات المستحسنة الغنى والثروه فلعمري انه يكون احسن حالا من الفاضل المقتر لان ذلك من سعادة الانسان في وخاصه اذا كان فاضلا عادلا عفيفا وانه يصرف ماله في وجهه وينفقه في حقه ويتفقد به من يجب تفقده ويسعف به اهل المسكنة ولا يقعد عن حق يجب عليه ولا مكرمة تزيد في محاسنه فاما الناقص الجاهل السيء العادة فان الغنى ربما زاده نقصا وانضاف الى معايبه فان لا يقدر يجيد ما لا مال له وان كان البخل في طبعه فليس يظهر ذلك منه وما لم يظهر ذلك منه فليس يعاب به لان الانسان انما يعاب بما يظهر منه فاذا كان غنيا ذا مال وسار ولم يجد به ظهر بخله فيصير المال جالبا عليه هذا العيب وايضا فان اكثر الفجور والمحظورات والشهوات الرديه ليس تنال الا بالاموال فالفقير وان كان في

في الجبلة الغيور فليس يجاهر بظهور ذلك منه. فإذا كان ذا مال تكشف من شهواته فظهر
عيوبه. فقد يكون الغنى مكتسبا لصاحبه عيوبا ونقايص وقد يكون الفقر مفيدا
لصاحبه فضايل ومحاسن. فليس تتفاضل الناس على الحقيقة بالاموال والاعراض
وانما يتفاضلون بالاداب والمحاسن الذاتية. فحقيق بالانسان اذ يسوس نفسه
المستحسنة ويسلك بها الطرق المحمودة فانه بذلك يكون محبا للناس معجبا لا
عندهم معظما فى نفوسهم مفضلا عن غيرهم موقرا عند الروسا والملوك مقبول
القول عريض الجاه. وهذه هى الرياسة المكتسبة بالاموال لان المال قد يلحقه
الجوايح فاذا فارق صاحبه سقطت منزلة صاحبه من نفوس الناس وساوى
العامة والسوقة لانه اذا رئس بالمال فالمعظم له هو ماله لا نفسه فاذا زال
ذلك المال لم يبق له شى يعظم من اجله. وليس كذلك العالم النفيس الفاضل
المهذب الاخلاق فان هذا رياسته بفضايله وفضايله غير مفارقة له وهو
رئيس بذاته ومعظم لذاته لا لشى من خارج. لكن الراغب فى سياسة نفسه
المؤثر تهذيب اخلاقه اذا نبه على خلق مذموم يجده فى نفسه واحب اجتنابه
ربما صعب عليه الانتقال عنه من اول وهلة وربما لم يمل التخلق منه ولم يطاوعه
طبعه. وربما استحسن ايضا خلقا محمودا لا يجده لنفسه واثر التخلق به ولم يستجب
له عادته ولم يصل الى مراده. فيجب ان نرسم للراغبين فى السياسة المحمودة طرقا
يتدربون بها ويتدرجون فيها حتى ينتهوا الى مرادهم من اعتياد الاخلاق الجميلة
والانطباع بها وتجنب الاخلاق القبيحة والتنزه عنها. فنذكر من اجل ذلك
طريق الارتياض بالاخلاق والتنقل لاعتيادها. وقد ذكرنا فيما تقدم ان سبب
اختلاف الاخلاق فى الناس هو اختلاف قوى النفوس الثلاث فيهم

وفى الشهوانيه والغضبيه والناطقه

وان صلاح الاخلاق هو تذليل الشهوانيه منها والغضبيه وتهذيب عادات النفس الناطقه واستعمال المحمود من افعالها وطريق التدرج لاستعمال العادات الجميله والعدول عن العادات القبيحه وهو التدرج فى تذليل هاتين القوتين

واما النفس الشهوانيه فالطريق الى قمعها ان يتذكر الانسان فى اوقات شهوته وعند شدة العزم الى لذاته انه يريد تذليل نفسه الشهوانيه فيعدل عما تاقت نفسه اليه من الشهوه الرديه الى ما هو مستحسن من جنس تلك الشهوه ويتفق على ارتضائه فيقتصر عليه فانه بذلك الفعل تنكسر شهوته ثم يميلها ويبعدها فان سكنت والا عاود الفعل من الوجه المستحسن فانه اذا فعل ذلك وكرر فعله كفت النفس واذا استمرت على هذه الحال الفت النفس هذه العاده وانست بها واستوحشت مما سواها

وينبغى لمن اراد قمع نفسه الشهوانيه ان يكثر من مجالسة الزهاد والرهبان والنساك واهل الورع والواعظين ويلازم فى مجالس الروسا واهل العلم فان الروسا واهل العلم وخاصة روسا الدين يحفظون من كان معروفا بالعفه ويستزرون من كان فاجرا منهمكا فمجالسته وملازمته لهذه المجالس تضطره الى التصون والتعفف والتجمل لاولئك لئلا يستزروه ويعصروا منه ويحظى برتبة من يعظم فى المحافل

وينبغى له ايضا ان يديم النظر فى كتب الاخلاق والسياسه واخبار الزهاد والنساك واهل الورع وينبغى ايضا ان يتجنب مجالس الخلفاء والسفها والمنهمكين ومن يكثر الهزل واللعب واكثر ما يجب له ان يتجنب السكر من الشراب ما يثير نفسه الشهوانيه ويقويها ويحملها على التهتك وارتكاب الفواحش والمجاهره بها وذلك ان الانسان اذا ارتدع عن القبائح بالعقل والتمييز فاذا سكر عدم ذلك الذى كان يردعه عن الفعل القبيح فلا يبالى ان يرتكب كلما كان يتجنب فى صحوه فاولى الاشيا بمن يطلب العفه

العفة هجر الشراب بالجملة وان قد مكنه فيقتصر على اليسير منه ويكون في الخلوات او مع
من لا يحتشمه ويتجنب مجالس المجاهرين بالشراب والسكر والخلاعة ولو فطن
انه ان حضر تلك المجالس واقتصر على اليسير من الشراب لم يستتر به فان هذا غلط
كبير وذلك ان من يحضر مجالس الشرب ليس تنقاد له نفسه الى القناعة باليسير
الشراب بل ان حضر مجالس الشرب وكان في غاية العفة تاركا للشرب متمسكا
للورع حملته شهوته على التشبه باهل المجلس وتاقت نفسه الى الفتك وما اكثر
من فعل ذلك الا التهتك بعد الستر والصيانة فشر الاحوال لمن يطلب
العفة حضور مجالس الشراب ومخالطة اهلها والاستكثار من معاشرتهم وينبغي
لمن اراد قمع نفسه الشهوانية ان يقل من استماع السماع وخاصة النسوان والشبان
منهم والمتصنعات فان السماع قوة عظيمة في اثارة الشهوة فان انضاف
الى ذلك ان يكون المسمع مشتهاة متغلبة لاستمالة العيون اليها اجتمع على
السامع هذا دواع كثيرة فربما لم يستطع دفع جميعها عن نفسه والاولى بمن يروم قهر الشهوة
ان يتجنب السماع وان لم يكن له منه بد ولم تسمح نفسه الى هجره بالكلية فليقتصر
على استماعه من الرجال ومن لا مطمع للشهوة فيه والاقلال منه خير وانصف
للمتعفف فاما الطعام فينبغي ان تعلم ان غايته هو الشبع لدفع الم الجوع وفاخر
الطعام ودنيه جميعا مشبعان فليس للمبالغة في تجويد الطعام الكثير خطر والاولى
هو التوسط في انواع الماكل وان يكون من الجنس الذي نشأ عليه الانسان واعتاده
والعفة وعلى ان شهوة الطعام والنهم فيه وان كان من الاخلاق الرديه فهو سهلها
واهونها وليس يكسب صاحبها من العار ما يكسبه محبة الشراب والمباضعة ومعاشرة
النسوان ومصاحبة الاحداث المتهتكين للفواحش فان ذلك في غاية القبح

والشهوة للمأكل اقل قبحا منه واخف على فاعله وهو مع ذلك قبيح والاستهتار
به والنهم فيه وكثرته والشره اليه مكروه وطريق التدرج الى الاقتصاد في الطعام
هو ان يبادر عند الشهوة الى اي شيء وجده من المأكل فان كان المشتهى الذي
تاقت نفسه اليه حاضرا فليأكل حاضره وجيده وان كان غير ذلك فليأكل ما يشبهه
في الطعام فانه اذا تناول من الطعام ما يشبه ذلك المشتهى في الطعام فان شهوته
تسكن ونفسه تكف وينبغي لمن احب العفة ان يكون ابدا متيقظا ذاكرا لما يلحق
الفاجر والنهم والشره والمنهمك من القبائح والعار في الدنيا وشدة العذاب في الاخرة
ويجعل ذلك ديدنه وشعاره ويداوم على فكره ذلك فان نفسه تبغض الشهوات الرديه
وتشتاق الى التعفف والقناعة وتطرب عند العدول عن الفواحش مع المقدرة عليها
وترتاح لما ينتشر عنها ويبلغها عن ذلك من الثناء الجميل على صاحبها فهذا الذي
ذكرناه هو طريق الى رياضة النفس الشهوانية وتذليلها وقمعها وهو طريق الارتياض
بالعادات المحمودة المرضية فيما يتعلق بالشهوات واللذات فاما النفس الغضبية
فان طريق قمعها وتذليلها هو ان يدمن الانسان الى تفقد السفهاء الذين يسرع اليهم
الغضب في اوقات طيشهم وحدتهم وتسفههم على خصمهم وعقوبتهم لخدمهم وعبيدهم فانه
يشاهد منهم منظرا شنيعا يأنف منه الحاذق والعاقل وان يتذكر ما شاهد منهم في
اوقات غضبه وعند جنايات خدمه وعبيده وعند ذنوب اخوانه واودائه في
جميع مجاوراته ومعاملاته فانه اذا تفكر ما كان استقبحه من السفهاء انكسر بذلك سورة
غضبه واحجم عما يهم بالاقدام عليه من السب والضرب وان لم يكف بالكلية فهو لم ينته
الى غاية الفحش وينبغي لمن اراد ان يقهر نفسه الغضبية ان يذكر في اوقات غضبه
على من يؤذيه او يجني عليه انه لو كان هو الجاني ما الذي كان يستحق ان يقابل على
جنايته فانه بهذا الفعل يعتقد ان درك تلك الجناية او ارش ذلك الاذى
يسير

٥٠ يسيرا جدا فاذا اعتقد ذلك كانت مغالبته للجاني والمؤذي بحسب اعتقاده فلا يسرف
في الانتقام ولا يفحش في الغضب فاذا فعل ذلك دائما وجعله دينا وتفقد معايب
السفها ومن يسرع اليه الغضب لم يبعد ان تنكسر نفسه الغضبيه وتنقاد اليه فاذا
استمر على ذلك مدة صار خلقا وعاده وينبغي لمن رغب في تذليل نفسه الغضبيه
ان يتجنب حمل السلاح في مجالس الشراب وحضور مواضع الحروب والفتن ومجالسة
الاشرار ويتجنب معاشرة الاشرار ومخالطة الشرط فان هذه المواضع تكسب قساوة
القلب وتغلظه وتعدمه الرافة والرحمة فتقسو لذلك نفسه الغضبيه فاذا
كان يريد تذليلها وتسكينها يجب ان يجعل مجالسته لاهل ذوي الوقار والشيوخ والروسا
والافاضل ومن يقل غضبه ويكثر حلمه ووقاره وينبغي له ايضا ان يتجنب السكر
من الشراب فان السكر يهيج النفس الغضبيه اكثر ما يهيج السكر النفس الشهوانيه
وكذلك ربما يسرع الى العربده والوثوب لجلسائه والاستخفاف بهم وسبهم وذكر
اعراضهم بعد ان كان يتحنن عليهم ويتودد اليهم ولا يكون بين الوقتين الا مقدار
ما يستحكم به السكر فالسكر مثير القوه الغضبيه ومقوي لها فمن اراد ان يكسر
نفسه الغضبيه فلا بد ان يتجنب السكر وان يكون من هجر الشراب البته فهو اصلح
لقهر النفس الغضبيه والشهوانيه معا وينبغي لمن اراد تذليل قوتيه الغضبيه
والشهوانيه ان يستعمل في جميع ما يفعله الفكر ولا يقدم على شي الا بعد ان يروي
فيه ويجعل الفكره واتباع الراي دينه وعادته فان الراي وجودة الفكر يمنعا
له السفه وسرعة الغضب والانهماك في الشهوات واتباع اللذات فاذا استنهج
ذلك احجم عنه وعدل الى ما يقتضيه الراي والفكر وان لم يرتدع بالكليه
فلا بد ان يوثر ذلك فيه فيقتصر عما يريد التسرع اليه ويتدارك الامر

في تهذيب الاخلاق وضبط النفس الشهوانية والنفس الغضبية هي النفس الناطقة
فان بهذه النفس تكون جميع السياسات وهذه النفس اذا كانت قوية متمكنة
من صاحبها امكنه ان يدبر بها قوتيه الباقيتين ويكف نفسه عن جميع القبائح
ويتبع ابدا محاسن الاخلاق وزمام تحت هذه النفس قوية في صاحبها فكانت معونة كافية
فاول ما ينبغي ان يعتمده في سياسة اخلاقه ان يروض هذه النفس ويقويها
وتقوية هذه النفس انما تكون بالعلوم العقلية فانه اذا نظر في العلوم العقلية
ودقق النظر فيها ودرس كتب الاخلاق والسياسة ولازم عليها تيقظت نفسه
وتنبهت من شهواتها وانتعشت من غفلتها واحست بفضائلها وانفت من رذائلها وذلك
ان هذه انما تضعف وتكف اذا عدمت الفضائل والمناقب واستولت عليها الرذائل
فاذا اقتنت الفضائل واكتسبت الاداب تيقظت من غفلتها وتارة من سكرتها وقويت
بعد ضعفها وفضائل هذه النفس هي العلوم العقلية وخاصة ما دق منها فاذا ارتاض
الانسان بالعلوم العقلية شرفت نفسه وعظمت همته وقوي فكره وتمكن من نفسه
وملك اخلاقه وقدر على اصلاحها وانقاد له طبعه وسهل عليه تهذيبه واذعنت له
القوة الغضبية والشهوانية وهان عليه قمعها وتهذيبها فاول ما ينبغي ان
يبتدئ به من يحب سياسة اخلاقه النظر في كتب الاخلاق والسياسات ثم الارتياض
بعلوم الحقائق فان اشرف ما تكون النفس اذا ادركت حقائق الامور واشرفت
على هيئات الموجودات فاذا شرفت نفس الانسان وعظمت همته رقا الى مرتبة الفضل
ومما يصلح النفس الناطقة ويقويها ايضا مجالسة اهل العلم ومخالطتهم و
الاقتداء باخلاقهم وعاداتهم وخاصة اصحاب علوم الحقائق والمستعملون منهم
المتصاون في جميع امورهم بما يقتضيه علومهم وتوجبه عقولهم فاما ما يجب
عادة النفس الناطقة واستعمال ما يحسن فيها واطراح ما يقبح فذلك انما يكون

ويتسهل

ويسهل اذا راض نفسه الناطقه فان النفس الناطقه اذا ارتاضت بالعلوم الحقيقيه وتيقظت وشرفت انفت من العادات المستقبحه وتنزهت عن التدنس بها فيهون حينئذ على صاحبها تجنب ما تكره من عاداتها ويغلب عليه استحسان الاخلاق الجميله والتخلق بها وقد تبين من جميع ما ذكرناه ان طريق الارتياض بالاخلاق المحموده والتنقح لاعتيادها واتباع الرضى منها واجتناب المذموم المستقبح وتذليل قوة الشهوه الغضبيه وضبطها وقهرها هو اصلاح النفس الناطقه وتقويتها وتحليتها بالفضائل والاداب والمحاسن فان ذلك هو آلة السياسه ومركب الرياضه ومن لم يتمكن من اكتساب العلوم العقليه والامعان فيها وتعذر عليه ذلك فليبذل جهده في تدقيق الفكر ومجاهدة النفس وتمثل ما بين عادته القبيحه والجميله وينظر ايهما اجدى عليه وايهما انفع له وايها احمد عاقبه وابقى على الايام فانه اذا صدق نفسه وجدان شهواته ولذاته انما هي ملذة . وقت استعمالها فقط فاما بعد مفارقتها فليست باقيه عليه ولا نافعة له ويجد عارها وشينها باقيا على الدهر متى دام بين الناس يعاب به ويزرى عليه بقبحه وكذلك شدة الغضب والتسرع الى الانتقام والسب والتجني فاذا انحلت حرقته وسكنت سورته تامل امره ورأى ما فعله وجده قبيحا ولم يجده مجديا ولا مفيدا وقد صار ما فعله عند الغضب نقيصه ووصمه وهجنة ومعيرة يسبها وربما ارتكب في الغضب جنايات يعاقب عليها ويؤاخذ بها فكذلك العادات المكروهه من عادات النفس الناطقه ايضا تجدها غير نافعه ولا مجديه وذلك ان الحسد والحقد والجبن وامثال هذه لا ينتفع بها صاحبها فان انتفع بالجبن والشر فنزر منفعته ومع ذلك هو ضار له فان

من شره قصده الناس بالشر واستعدوا له ذميه وتعمدوا الاضرار به وتوقوه
واحترزوا منه وكرهوا نفسه وقصروا عليه وجوه الخير واجتهدوا في ذلك وما اسوأ
حال من هذه صفته فيستولي الشر والخبث على الحال فضرره من شرته اكثر مما ينفعه فاذا
حاسب الانسان نفسه واجال فكره وتمييزه علم ان الضرر في مساوي الاخلاق اكثر
من النفع وان الذي يعده فيها نفعا فليس هو بنفع على الحقيقة وهو يسير جدا
غير باق ولا مستمر فان هذا اليسير الذي يعده نفعا لا يفي بالضرر الكثير والعار
اللازم المتصل ويعلم ايضا ان الشر والخبث يجلبان عليه الشر ويوحش منه الناس فاذا
ذم واكثر منه فدى نفسه اتباع محاسن الاخلاق وسهل عليه اطراح مساويها
ومقابحها وغلب عليه الخير والسداد وفزع من العيب والعار فاذا فعل ذلك
دائما لم يلبث ان تصلح اخلاقه وتحسن طريقته وتهذب شمائله ويلحق برتبة
اهل الفضل وينبغي لمن اراد سياسة اخلاقه ان يجعل غرضه في كل فضيلة
غايتها ونهايتها ولا يقنع منها بما دون الغاية ولا يرضى الا باعلى درجة فانه اذا
جعل ذلك غرضه كان حريا ان يتوسط في الفضائل ويبلغ فيها رتبة
مرضية فان فاتته الدرجة العليا فاما ان قنع بالتوسط لم يأمن ان يقصر
عن بلوغه فيبقى في ادون المراتب وليفوته المطلوب ولا يطمع ابدا في التمام
فهذا الذي ذكرناه هو طريق الارتياض بمكارم الاخلاق ومنهج التدرج
في محو العادات فاذا اخذ الانسان نفسه به وذكر مراعاته وتعهده صار له
من الفضائل ديدنا والمحاسن له خلقا وطبعا وقد بقي علينا ان نذكر الانسان
التام الجامع لمحاسن الاخلاق وطريقه التي يصل بها الى التمام فنقول

ان الانسان التام هو الذي لم تفته فضيلة ولم تشنه رذيلة وهذا الحد
قل ما ينتهي اليه الانسان واذا انتهى الانسان الى هذا الحد كان بالملائكة
اشبه

اشبه منه بالناس فان الانسان مضروب بانواع النقص مستولي عليه وعلى طبعه ضروب الشر فقل ما تخلص من جميعها حتى تسلم نفسه من كل عيب ونقيصة وتحيط بكل فضيلة ومنقبة الا ان التمام وان كان عزيزاً بعيد التناول فانه ممكن وهو غاية ما ينتهي اليه الانسان ونهاية ما هو منتهى اليه فاذا صدقت عزيمة الانسان واعطى الاجتهاد حقه كان ممكنا ان ينتهي الى غايته القصوى منتهي لها ويصل الى بغيته الذي تسمو نفسه اليها فاما تفصيل اوصاف الانسان التام فهو ان يكون متفقدا لجميع اخلاقه متيقظا لجميع معايبه متحرزا من دخول نقص عليه مستعملا لكل فضيله ومجتهدا في بلوغ الغايه عاشقا لصورة الكمال مستلذا لمحاسن الاخلاق متيقظا في الاصل متبغضا لمذموم العادات معتنيا بتهذيب اخلاقه غير مستكثر لما يقتنيه من الفضايل مستعظما لليسير من الرذايل مستصغرا للرتبة العليا مستحقرا للغاية القصوى يرى التمام دون محله والكمال اقل اوصافه فاما الطريقة التي توصله الى التمام وتحفظ عليه الكمال فهي ان يصرف عنايته الى النظر في العلوم الحقيقيه ويجعل غرضه الاحاطه بماهيات الامور الموجوده وكشف عللها واسبابها وتفقد غاياتها ونهاياتها ولا يقف عند غاية من علمه الا ويرمي بطرفه الى ما فوق تلك الغايه ويجعل شعاره ليله ونهاره قراءة كتب الاخلاق وتصفح كتب السير والسياسات واخذ نفسه باستعمال ما امر اهل الفضل باستعماله واثار المتقدمون من الحكما باعتباره ويروم ايضا حظا من ادب اللسان والبلاغه ويتحلى بشيء من الفصاحه والخطابه ويغشى ابدا مجالس اهل العلم والحكمه ويعاشر دايما اهل الوقار والعفه هذا ان كان من الرعيه والسوقه فان كان ممكنا و

ريّاً فينبغي أن يجعل جلسايه وخاصّيته والمطيفين به كل من كان
معروفاً بالستر والسداد موصوفاً بالأدب والوقار مخصوصاً بالعلم والحكمة متحققاً
بالفهم والفطنة ويقرب مجالس أهل العلم ويستطلهم ويكثر مجالستهم والأنس بهم ويجعل
تفرجه وتفكهه مذاكرتهم في العلم وفنونه وسياسة الملك ورسومه وأخبار
الحكما وأخلاقهم وسير الملوك الأخيار وعاداتهم وينبغي للإنسان التام ولمن
يطلب التمام أيضاً أن يجعل لشهواته ولذاته قانوناً رتباً يقتصد فيه الاعتدال ويتجنب
السرف والإفراط بحسبه من الشهوات واللذات المعتدلة ما كان من الوجوه المرتضاه
المستحسنة ويأخذ نفسه بذلك ويحمله عليها اللحج في لذة مكروهة أو شهوة
مسرفة ويتجرأ مجانب اللذات ومعاشرتهم وينقبض عن الخلعاء ومجالستهم وليشعر
نفسه أن الشهوة عدو مكاشح وخصم ملحّ مريد أبداً هزره وإذلته ويعجبه
شينه وفضيحته فيناصب شهوته بالعداوة ويكاشحها بالمعاندة ويتبع أبداً سورتها
ويكسر دايماً حدتها ويقهر أبداً سطوتها ويذللها على التدريج عزها ويسكن على الترتيب فورها
فإنه إذا فعل ذلك كان حقيقاً أن يملك نفسه وتنقاد له شهوته ويتطبع بالعفة ويتخلق
حسن السيرة ومتى أرخى لشهوته عنانها وسمح لها في مرادها وأهمل سياستها ورعايتها
استطالت وسمحت ولم تلبث أن تورط صاحبها وتغوره وتحمله على ما يسوءه ويقعده فيصير
بذلك بعيداً من التمام متخلفاً عن الكمال وينبغي لمن يطلب التمام أن يعلم أنه لا سبيل له
إلى الرجوع عن غرضه ما دامت اللذة عنده مستحسنة والشهوة مستحبة وهذه الحال صعبة جداً
شديدة على صاحبها بعيدة المأخذ وهي على الملوك والروسا أقدم على اللذات و
أشد تمكناً والشهوات واللذات لديهم معرضة ولهم مستحبة وعادة ومفارقتها متعذرة
ذوو فهم عنها كالشيء الممتنع خاصة لمن قد نشأ فيها على الانهماك فيها والتوفر عليها
الأدنى الملوك وإن كانوا أقدر على اللذات وأكثر اعتباراً لها أعظم همماً وأعز نفوساً
وأحصل

والمحصل منهم اذا صحت نفسه الى التمام الانسانى واشتاقت الى الرياسة الحقيقية
علم ان الملك احق بان يكون اتم اهل زمانه وافضل من اعوانه ورعيته فيهون عليه
مفارقة الشهوات الردية وهجر اللذات الدنية وينبغى لمن يرغب فى سياسة اخلاقه
وسلوك طريق الاعتدال فى شهواته ان يجعل له قانونا يقتصر عليه فى المآكل والمشارب
موصوفا بالكرم وهو ان لا يستبد بالمآكل والمشارب وحده بل يقصد ان يشرك فى
ماله من ذلك اخوانه واوداه ان كان رعية وسوقة وان كان ملكا او رئيسا فجميع
عبيده غاشيته وندماه ويخص به اصحابه واعوانه ويتفقد بفضلاته اهل الفقر والمسكنة
وبخاصة لمن سبقت له معرفة او تقدمت له حرمة ويصرف الى ذلك فضلا من عنايته
فان اعتداده بهدى ما يصل اليهم من بره اكثر من اعتداده بحاشيته واصحابه وليظهر لمن
يجتمع على مائدته من طعامه وشرابه من اخوانه واصدقاه ورعيته وندمائه ان كان
ملكا او رئيسا ان حبه لهم الانس بهم والسرور بمباشرتهم لا ليكرمهم بطعامه وشرابه
ولا ان لذلك قدرا يعتد به وليتحرز كل التحرز من ان يبدو منه امتنان بالطعام
والشراب او يستبيح به او يتبجح به او يتفاخر به فان ذلك يزرى بفاعله ويبغض
منه ويوحش من يغشاه ويقطعهم عنه وقد يستحسن من الانسان ايضا اذا
كان مقتدرا ان يواسى بطعامه الفقراء والضعفاء واخوانه ويستحسن منه ايضا انه
من ذلك ان يؤثر الانسان بطعامه وشرابه غيره وان كان شديد الاضطرار اليه
وكان لا يقدر على غيره وينبغى لمن طلب السياسة الكاملة ان يستهين بالمال ويحتقره
وينظر اليه بالعين الذى يستحقها فان المال انما يراد لغيره وليس هو مطلوبا لذاته
فان فى نفسه غير نافع وانما الانتفاع بالاغراض التى تنال به فالمال آلة ينال
٦٠ الاغراض فلا يجب ان يعتقد ان اقتناه وادخاره مفيد له فانه اذا ادخر

ومن لم ينل صاحبه شيئاً من الاغراض التى هو بالحقيقة محتاج اليها فالمال مطلوب
لغيره وينبغى للمريد الراى العالى الهمة ان يزنه بوزنه فيكسبه من وجهه و
يفرقه فى وجهه ويكون مع ذلك غير متوانٍ فى اكتسابه ولا منهمك فى طلبه لان
عدم المال يضطره الى التواضع لمن هو دونه اذا وجد عنده حاجته ووجود المال
يغنيه عمن هو فوقه وان دنت منزلته ويكون ايضاً غير مدخر ولا ممسك به
بل يصرفه فى حاجاته وينفقه فى مهماته ويقصد الاعتدال فى تفرقته ويحترز
من السرف والتبذير فى خروجه ولا يمنع منه ما يجب عليه ولا يصرفه فى شىء لا يجب
ولا ينكر عليه واذا فرغ من حاجاته واستكفى من نفقاته وسد جميع خلله
عاد الى النظر فى امره فان كان بقى من ماله بقية فاضلة عن مهم اغراضه خزن
منها قسطاً يجعله عدة يستظهر بها للشدة ويعدها للنائبة وما بقى من ذلك تفقد
به الضعفا والمساكين واهل الفاقة المستورين ويجعل اهتمامه بافضاله وبره
اكثر من اهتمامه بضرورياته فان الضروريات تضطره ذكرها اليها والبر والتفضل متى
لم يهتم بها ويشعر نفسه التزامها لم يسهل عليه فعلها لان ضعف النفس وسوء
الظن يصرفانه عنها وان لم يكن له حاجز من نفسه ووازع يحركه من همته لم يقدم
عليها وغلب عليه التوانى فاذا تراخى عن البر والفضل كان شحيحاً ضنيناً بخيلاً
دنياً وليس بتام بل ليس بالحقيقة انساناً من لم يكن له برّ يعرف ولم ينشر عنه
افعال توصف هذا ان كان من اوساط الناس فاما الملوك والرؤسا فانهم احق
بهذه السياسة ويجب ان يكونوا بذلك اشد عناية فيجمعوا الاموال من حقها و
وجهها ويصرفوها فى نفقاتهم ومؤوناتهم وارزاق جندهم واصحابهم قدر الكفاية من
غير سرف ولا تقتير ويعدوا منه شطراً لحوادث حاجته ويصرف الباقى فى التكرم
والجود ووجوه الخير والبر فيعطوا اهل العلم على طبقاتهم ويجعلوا لهم دوانق من
غذاهم

خواص اخدانهم ويدفعوا لمن هو متابر على العلم والادب ويبروا الضعفا والمساكين
ويتعهدوا الغربا والمنقطعين ويهتموا بالزهاد والنساك ويخصوهم ببسط
من افضالهم وانعامهم ويحتفوا بالصغير والكبير من رعيتهم وينفقوا في مصالحهم شطرا
من اموالهم فان الملوك اولى بالكرم من الرعيه واحق بالجود من العامه ويحسن
ايضا من المقلين والمقترين من المواساه بالمال والاسعاد به وان كانوا محتاجين
اليه وكلما كانت حاجتهم اشد كان ذلك الفعل حسنا وهذه الحال يستحسن
اذا راى الوفي اخا من اخوانه او صديقا يختص به وقد دفعته الحاجه الى ما لا يقدر
عليه لاصلاح شي من شانه ولدفع محنه نزلت به وكان هو قادرا على ذلك
القدر من المال فينبغي باسعافه عفوا من غير مساله فان فعل هذا الفعل
مع الغريب الذي لا يعرفه ولم يسبق له حرمه ولا موده كان جميلا مستحسنا
وينبغي لمحب الكمال ان يشعر نفسه ان الغضبان بمنزلة البهايم والسباع
يفعل ما يفعله من غير علم ولا رويه فاذا جرى بينه وبين غيره محاوره ادت
الى ان يغضب خصمه ويسفه عليه اعتقد فيه انه في تلك الحاله بمنزلة البهايم
والسباع فيمسك عن معاقبته ويحجم عن الانتصاف منه لانه يعلم ان الكلب لو نبح
عليه لم يستجز معاقبته على نبحه وكذلك البهيمه لو رمحته لم يستحسن عقوبتها لانها
غير عالمه بما تصنعه الا ان يكون جاهلا سفيها فان من السفهاء من يغضب
على البهيمه اذا رمحته ويوجعها ضربا اذا آذته وربما عثر السفيه فشتم موضع عثرته
ورفسها برجله فاما الحكيم الوقور فلا يستحسن شيا من ذلك واذا استشعر ان
خصمه انه بمنزلة البهايم صار هذا الاستشعار منه طريقا الى ضبط النفس
الغضبيه وزمها فان آذاه موذ بغير سفه فتمادى ذلك الاذى الى حال تغضبه
انف ايضا من الغضب مع استشعاره ان الغضبان والبهيمه بمنزلة

واحده فيصل حينئذ الى مقابلة موذية بانقضيه الراي من حيث لا يظهر فيه غضب
ولا سخط وينبغي لمحب الكمال ايضا ان يصور في نفسه محبة الناس اجمع والتودد
اليهم والتحنن عليهم والرافه والرحمه لهم فان الناس قبيلة واحدة تجمعهم الانسانيه
وحلية قوة الالهيه هي في جميعهم وفي كل واحد منهم وهي النفس العاقله وبهذه
النفس صار الانسان انسانا وهي اشرف جزئي الانسان اللذين هما النفس
والجسد فالانسان هو بالحقيقه النفس العاقله وهي جوهر واحد في جميع الناس
بالحقيقه شئ واحد وبالاشخاص كثيرون واذا كانت نفوسهم واحده والموده انما
تكون بالنفس فواجب ان يكونوا كلهم متحابين متوادين وذلك في الناس طبيعة
لولم تكدرهم النفس الغضبيه فان هذه النفس تجعل لصاحبها التعدي فتقود
صاحبها الى الكبر والاعجاب والتسلط على المستضعف واستصغار الفقير وحسد
الغني وذوي الفضل فتكتسب من اجل هذه الاسباب العداوات وتتاكد البغضه
بينهم فاذا ضبط الانسان نفسه الغضبيه واستشار النفس العاقله صار له
الناس كلهم احبابا واخوانا واذا اعمل الانسان فكره راى ان ذلك واجبا لان
الناس اما ان يكونوا فضلا او نقصا فالفضلاء يجب عليه محبتهم لفضلهم والنقصا
يجب عليه رحمتهم لموضع نقصهم والمداراة منهم فبحق يجب لمحب الكمال
ان يكمل همته فعل الخير مع جميع الناس وانفاق ما فضل من ماله فيما يبقى له
الذكر الجميل بعد موته ويتحرز من فعل الشر فانه ان حاسب نفسه علم ان من يفعل
الشر فانما يفعله لخير يعتقد انه يصل اليه بذلك الشر وربما كان غالطا وربما
كان مصيبا واذا علم ان الامر على هذه الصفه كان واجبا ان يطلب الخير الذي
يرومه من طريق غير طريق الشر اذا كان هو الغرض المطلوب لا فعل الشر
فاما ان كان لشره لشفا غيظ الحميه فيعلم انه اذا سكن غيظه وجد
ذلك

ذلك المقصود بالشر غير مستحق لذلك الفعل فعل الشر قبيح وخاصة ممن قد جمع الفضائل إلا أن يكون ذلك تأديبا على جرم، أو اقتصاصا من جاني فإن هذه الحال مستحسنة محمودة بل لا تعد شرا لأن ذلك الشر إنما يصل إلى الجاني فقط ويكون منه نفع عام للجميع لأنه يردع به أمثاله من الجناة فيكون النفع فيه أكثر فمن أجل ذلك لا تعد شرا وإذا اعتمد الإنسان فعل الخير وألفه وتجنب الشر واستوحش منه أنف من الأخلاق المكروهة التي تعد شرا كالحسد والحقد والخبث والخديعة والنميمة والغيبة والوقيعة وأمثال هذه العادات وإذا فكر العاقل المحصل فيها علم أنها غير مجدية عليه نفعا وهي مع ذلك تشينه بقبيح صورتها وإذا كان محبا للتمام مستشرفا للكمال كان واجبا عليه تجنب هذه الأخلاق وينبغي لمحب الكمال أن يعتقد أنه ليس شيئا من العيوب والقبائح خافيا عن الناس وإن اجتهد صاحبها في سترها فلا تطمع نفسه في ارتكاب فعل قبيح يظن أنه ينكتم عن الناس حتى لا يقف عليه أحد ويجب أن يعلم أن الناس بالطبع مولعون على تتبع عيوب الناس وتعييرهم بها وذلك في الناس غريزة والسبب فيه أن الإنسان ما لم يبلغ التمام فليس يخلو من نقص يعاب به ويسوؤه أن يكون غيره أفضل منه فهو يؤثر أن تكون الناس كلهم نقصا ليساوه في النقص ويخلو دونه وهو أبدا يتتبع معايب الناس وتعييرهم بها ليري الناس أنه أفضل ممن فيه ذلك العيب ويشعر نفسه أيضا بذلك ليطيب بما فيه من العيوب فليس شيء من العيوب يخاف عن الناس وإن اجتهد ستره وقد يظن أيضا كثير من الملوك والرؤساء أن عيوبهم مستورة عن الناس غير بادية وذلك لموضع هيبتهم وعظم سطوتهم يستشرون

ان حاشيتهم وخواصهم لا يجسرون على افشا اسرارهم او يحفظ على شي منها وهذه نهاية
الحفظ لان خواص الملك وحاشيته كانهم عنده ثقاة امنا كذلك لكل واحد منهم خاص
وثقة يخرج اليه باسراره والذي لا يستر الانسان عنه اسرار نفسه فمحال ان يستر عنه اسرار
غيره وهذه الحال طريق الى انتشار معايب الملوك الذين يظنون انها مستوره ولعله
لم يظنهم ان عيوبهم مستوره ولانهم لا يسمعون احدا يذكرها ولا احدا يفضحهم بها فيظنون
انها خفية فاذا احب الانسان ان يعلم ان عيوبه غير خافية فليعد الى نفسه فينظر هل يعرف
لاحد عيبا كان يستره ويخفيه فانه يجد للناس عنده عيوبا كثيره قد اجتهدوا في
سترها وحرصوا على دفنها ومنهم من يظن انها خفية ومنهم من يعلم انها انتشرت بعد الستر
فاذا علم انه عارف باسرار كثير من الناس كانت مستوره فبالواجب ان يعتقد ان عيوبه
غير خافية ولا مكتتمة وان الناس يعرفون من عيوبه اكثر مما يعرف من عيوبهم فينبغي
لمحب الكمال ان يعتقد ان عيوبه ظاهره وان اجتهد في اخفائها وليس يتم من عرف له عيب فلا
طريق الى التمام الا باجتناب العيوب الكليه والتمسك بالفضائل في سائر الامور وهذه الرتبه
غاية تمام الانسانيه ونهاية الفضيلة البشريه وواجب على كل انسان الاجتهاد في بلوغها واستفراغ
الوسع في الوصول اليها لان التمام مطلوب لذاته والنقص مكروه لعينه واحق الناس
بطلب هذه الرتبه والاهتمام بالتحلي لبلوغ هذه المنزلة الملوك والرؤسا لان الملوك والرؤسا
اشرف الناس واعظمهم قدرا وما اقبح بالشريف العظيم القدر ان يكون ناقصا فالملوك
اذا ينبغي ان يكونوا اشد الناس حرصا على بلوغ الكمال لان الكامل من الناس الجامع
للفضائل مترئس بالطبع على الناقص من الناس فالانسان التام رئيس بالطبع فاذا كان
الملك تاما جامعا لمحاسن الاخلاق محيطا بجميع المناقب كان ملكا بالطبع واذا كان
ناقصا كان ملكا بالقهر وما اولى بالملك ان يرغب في الرياسه الحقيقيه لا بالتي بالقهر
والشرف الذاتي لا ما هو بالوضع فبالواجب ان يصرف الملك همته الى اكتساب الفضائل
واسنا

واسنا الملاحق ويطلب الغاية من الكمال ويستصغر الكثير فيها حتى يحوز جميعها ولا يرضى
بالنهاية حتى يزيد عليها فانه اذ رضي برتبة فوقها رتبة لم يصر ابدا الى التمام واذا بعد
الناس من التمام من رضي لنفسه بالنقصان فاذا طلب الكمال فاول ما يجب ان
يعتاده عظم الهمة تصغر في عينه كل رذيلة وتحسن له كل فضيلة فاذا عظمت همة الملك
سلم من الاعجاب بملكه ورأى نفسه ورتبته اعظم قدرا من ان يستكثر ذلك الملك
واذا احتقر الملك ملكه الذي به عظمته وعزته طلب لنفسه ما يعظمها بالحقيقة وليس تعظم
النفس الا بالفضائل ثم ينبغي اذ يكره الملق ويبغض المتملقين وينافر عن تلقيه به
ويلوك امره ان يتعرف عيوبه حتى يمكنه توقيها والتحرز منها وهذه في الملوك صعبة لان
الانسان بالطبع يخفى عليه كثير من عيوبه فالذي يخفى على الملوك اكثر لاعجابهم بمحاسنهم
وعظم رتبتهم وايضا فان الرعية والسوقة يبكتون بعيوبهم ويعيرون بها فهم يعرفونها
واما الملوك لا يجسر احد على تبكيتهم ولا يتقدم احد على نصحهم وتبكيتهم على عيوبهم دون الناس
اجمع يقصدون التقرب الى الملوك وتملقهم ولا يقولون الا ما يحبون لينالوا الحظوة
عندهم فعيوب الملوك ابدا خفية عنهم وينبغي للملك اذا احب ان يتنزه من
العيوب ويطهر منها ان يتقدم الى خواصه وثقاته ومن كان يسكن الى عقله
وفطنته من حاشيته ويأمرهم ان يتفقدوا عيوبه ونقائصه ويطلعوه عليها
ويعلموه بها وينبغي له ان يتلقى من يهدي اليه شيئا من عيوبه بالبشر والقبول و
يظهر له الفرح والسرور بالمطلع عليه بل المستحسن منه ان يجيز الذي يوقفه على عيوبه
اكثر ما يجيز على المدح والثناء الجميل ويشكر من ينبهه على نقصه ويتحمل لومه بفعله
فاذا الزم هذه الطريقة وعرف بها تسرع اصحابه وخواصه الى تنبيهه على عيوبه
واذا نبه على ما فيه من النقص انف منه واستشعر ان اولئك سيعيرونه

والصغر دونه من اجله فيلزمه حينئذ ان ياخذ نفسه بالتنزه من العيوب ويحرصها على
التخلص من رذائلها فاذا فعل ذلك وتوفر على اقتناء الفضائل والزم نفسه التخلق بالمحاسن
ولم يرض من منقبة الا بغايتها ولم يقف عند فضيلة الا وطلب الزيادة عليها واجتهد
فيما يكسب سياسة نفسه عاجلة ويبقى له الذكر الجميل آجلا لم يلبث ان يبلغ الغاية من
التمام ويرتقي الى النهاية من الكمال فيحوز السعادة الانسانية والرياسة الحقانية ويبقى
له حسن الثناء مؤبدا وجميل الذكر مخلدا فقد اتينا على صفة الانسان التام الجامع
لمحاسن الاخلاق والطريقة التي تؤديه الى هذه الرتبة وتحفظ عليه هذه المنزلة وقدمنا
ما يجب تقديمه من سياسة الاخلاق وتهذيب النفوس

فاولى - - من نظر في هذا القول وتصفحه وفهم مضمونه وتدبره ان ياخذ
نفسه باستعمال ما بيّنت من فصوله وليرق اخلاقه بالتطرق الى الذي فيه
من تضاعيفه ويجتهد كل اجتهاد في تكميل نفسه وليستفرغ غاية الوسع في طلب تمامه
فما اقبح النقص بالقادر على التمام والعجز من الكمال وهذا حين نختم القول في تهذيب
الاخلاق نسبح الولي تعالى الخلق
من له الحمد والسجود
دائما
ابدا